# مراتب الوجود

## وحقيقة كل موجود

للعارف بالله تعالى الإمام سيدي
عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي
قدس الله سره ونور ضريحه



---

يطلب من

مكتبة الجندي

بسيدنا الحسين بمصر ت ٧٤٥١٨

دار الطباعة المحمدية - درب الاتراك بالأزهر بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذى يسر لنا هذا البيان تحت علم القرآن ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مصدر الخير والنور والرحمة المبعوث بالحق لكافة الخلق وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) فيقول العبد الأحقر ، أحوج ما يكون مذنب لعفو ربه وأفقر . بدوى بن طه علام ، كان الله له ولوالديه وللمسلمين عونا مدى الأيام والأعوام ، لما كانت خدمة الحقائق فرضا على كل ذى شعور صالح نحو دينه وأمته . وكانت مؤلفات الامام العارف بالله سيدى عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى الصوفى ، هى خير ما ينتفع به ، حيث جمعت فأوعت من آيات العلم ، والبينات المحكمات ما يجعلها مضيئة بمشارق الأخبار النبوية ، والعلوم الروحية : آثرت أن أنقلها من مرقدها إلى حيث النور والظهور ، فتنهض لحفظها همم المحبين للجناب الأرفع ، ويسعى لاقتنائها بخزانة الفكر أرباب الحال النير الألمع وشاء الحق تبارك وتعالى أن تبرز إلى الوجود جوهرة ثمينة نادرة من مؤلفات الامام الجيلى هو كتاب (نسيم السحر) بما يسره الله سبحانه وتعالى لنا

بتوفيقه وكرمه الذى لم يقف بنا عند هـذا الحد ، وإنما زاد ذلك نعمة بإظهاره على يدينا تحفة أخرى من كنوز هذا العارف . وهو الكتاب الموسوم بـ (مراتب الوجود وحقيقة كل موجود) لكى يستفاد منه الشعور بإحساس إستغراق أهل الاذواق فى استجلاء مشاهد الوجود الكلية التى هى مظاهر الحق النسبية . المتجلية بالمشاهد الامـكانية فى عرصة الوجود الشهودى ، فتنقاد الأفئدة لبواعث الاقتضاآت الالهية ، وتقع المساررة الربانية ، بمعنى استشفاف أسرار التكوين من خلال الكونيات فإذا استجلى الانسان معنى من معانى الوجود وأستوضحه بمعونة من التوفيق الآلهى سمى هذا الحال مساررة ، وهذه قد ينالها أرباب الاشتغال بالفكر والعلم النظرى ، لكنها لاتساوى مساررة المحاضرة التى أختص الحق بها قوما اصطفاهم ، وجعلهم من أهل الحضور معه ، فشغلهم به عما سواه ، وأدناهم من حظائر علاه ، فكانوا له أمناء على أسراره ، وكان لهم معوانا على على الارشاد والدعوة إليه بما ألهمهم من قوانين التربية الروحية النافعة ، وقواعد الرشد الصحيحة . وقد كان الإمام الجيلى علما من هؤلاء الرجال ، وواحد من ائمة الفكر الذين ظهروا فى بلاد المسلمين ، فكانوا هداة لأجيالهم وللانسانية من بعدهم ، ولم يكن ليصل الى هذه المرتبة من التغلغل فى أعماق الاشياء ، والكشف عن ماهيتها ، وينفذ ببصيرته إلى حقائق الحياة ، والخليقة ونظامها من علائق الجماد والنبات والحيوان ووحدة الأنواع ، وتنوع الأفراد ،

وبداعة الأجسام، وتناسب أجزائها، وتصوير الحكمة العجيبة فى مجموع الوجود، إلا بالعبادة لله الحق، وبالتقوى فى أكبر درجاتها، مما يجعله يحيا حياة تتسم بالهدوء والسعادة والاستقرار، وتمكنه من السيطرة على نفسه إلى حد أن تمتص روحه مادية جسده، ثم يتدرج بعد إنتفاء الاحساس بعواطفه، ثم بإرادته على الحركة، إلى أن يذوب نهائيا كفرد من البشر، ويندمج محبة وعبودية بالطاعة التامة لله. وهذه الرياضة، تعد بحق من أصعب الرياضيات الروحية، حتى أن الزمن لايجود إلا بفرد واحد يتمكن من الوصول إلى مرتبة الكمال فى هذه الرياضة الروحية الشاقة التى يستطيع بعدها إذا نجح فى إجتياز عقبتها، أن يرجع إلى الحياة، ويقوم بما تتطلبه كإنسان مزودا بلذائذ من الروحانيات لايعلم قدرها إلا الله، وهذا المقام، هو مايعبر عنه (القوم) بمرتبة الصحو بعد السكر، أو الجمع بعد الفرق؛ أى أن يكون العبد كأحسن مايكون العبد ائتمارا بالأوامر الالهية، وإبتعادا عن النواهى، صالحا للدنيا والآخرة. وقد كان الأمام الجيلى رحمه الله، ذلك الرجل، يتلق المدد الروحى من الفيض الآلهى، حتى أصبح كائنا روحانيا تخضع له عناصر الطبيعة. ويسيطر بروحه على المادة فى شتى صورها، وذلك نوع مما يكرم الله به عباده، حتى لتظل الكرامة من الله لوليه، باقية بعد موته، وهى خلود الذكر، والإثابة على كتب العلم النافعة، مصداقا لقول الرسول (ينقطع عمل ابن آدم، إلا من ثلاث؛ حسنة جارية؛ وكتاب علم ينتفع به وولد صالح

يدعو له ) : فهذا سيدى القارىء كتاب علم ( بمراتب الوجود وحقيقة كل موجود ) وهو واحد من الكتب العالية النادرة التى أبدعها قلم هذا الإمام الصوفى والتى منها كتاب ( المناظر الألهية ) و ( قاب قوسين ) جزى الله الإمام الجيلى عن المسلمين ومحبى المعرفة خير الجزاء

بدوى طه علام

المدرس

بالمدارس الأميرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله وكفى

الحمد لله الذى أعطى مراتب الوجود حقها على التمام والكمال فظهر فيها بما عليه لها من الحسن والجمال والثبوت والزوال والميل والاعتدال فليس فى الإمكان أكمل من هذا الوجود النائل من الكمال كل مثال . أحمده به على ماله من شيم المجد والجلال حمد من تحقق ما لذاته من صنوف الوجوب والإمكان والمحال .

وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال الظاهر بكل موجود بكماله من غير حلول ولا اتصال ولا انفصال ظهور بلا كيف يصوره عقل ويحيط به الخيال ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم مظهره الأعظم ومجلاه المحيط الأقدم ورسوله الختم الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه طراز الوجود المعلم وشرف وعظم ومجد وكرم .

أما بعد فإن أولى ما اعتنى به العقلاء وأعز ما صرف العمر فى طلبه الفضلاء هو العلم بالله وإنه لكثرة اتساعه وعظم شياعه لا يكاد المرء يبلغ من تداركه مقصوداً ولو كان بجميع الامدادات ممدوداً

وإن القوم المشار اليهم بهذا العلم رضوان الله عليهم إنما أخذوا منه طرفا كل على قدر قابليته وقبول الفيض المقدس والأقدس من حضرة التجلي والتحقق بحقيقة الانصاف والتحلي مع التأييد الإلهي بروح القدس لدى الإلقاء والتلقي حتى انهم مع دوام النفحات وتواتر الخيرات لم يزالوا يطلبون العلم من بعضهم بعضا ويسيحون فى الأرض للوقوع على رجل منهم ليفيدهم فيه مسألة طولا وعرضاً ، ولهذا قال الجنيد رضى الله عنه لو علمت أن تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لرحلت إليه ، تنبيهاً على شرف هذا العلم وأنه مما ينبغى للمريد أن يرحل إليه بل يجب عليه .

وقال الشيخ أحمد الرفاعى رضى الله عنه لتلامذته تعلموا هذا العلم فإن جذبات الحق فى زماننا قلت ، يريد بالجذبات المجذوبين ، يعنى أن المجـــذوبين قلوا فى الزمان وسبب قلتهم عدم تعرض أهل الزمان لنفحات الرحمن .

وإن شئت قلت عدم التحلي لقبول فيض التجلي .

وقد يكون قصد الشيخ بقلة الجذبات قلة ظهورها على أهل الزمان لا لكونها قليلة فى نفس الأمر ، لأن الله تعالى لم يزل متجليا بجميع تجلياته مفيضا على خلقه بمقتضيات أسمائه وصفاته ، ولقد بلغنى عن شيخى الشيخ إسماعيل الجبرتى رضى الله عنه أنه قال يوما لبعض أخوانى من تلامذته عليك بكتب الشيخ محي الدين بن العربى . فقال له التلميذ يا سيدى إن رأيت اصبر حتى يفتح الله على به من حيث الفيض

فقال له الشيخ إن الذى تريد أن تصبر له هو عين ما ذكره الشيخ لك فى هذه الكتب ، هذا كلامهم رضى الله عنهم للتلامذة والإخوان إنما هو لتقريب المسافة البعيدة اليهم وتسهيل الطريق الصعب عليهم ، لأن المريد قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا مالا يناله بمجاهدة خمسين سنة ، وذلك لأن السالك إنما ينال ثمرة سلوكه وعلمه والعلوم التى وصفها الكمل من أهل الله تعالى هى ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة ، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص ، بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال لأنها بالفيض الإلهى الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم ، فكم بين قابلية الكامل من أهل الله وبين قابلية المريد الطالب ، فاذا فهم المريد الطالب ماقصده من وضع المسألة فى الكتاب وعلمه ، استوى هو ومصنفه فى معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف ، وصارت له ملكا مثل ما كانت للمصنف . وهكذا كل مسألة من مسائل العلوم الموضوعة فى الكتب فإن الآخذ لها من المعدن الذى أخذ منه مصنفها .

وما ورد عن بعض أهل الله من منع بعض التلامذة عن مطالعة كتب الحقيقة لأن قاصر الفهم لايخلو إما أن يتناول كلامهم على خلاف ما أرادوه فيستعمله فيهلك ، أو يضيع العمر فى تصفح الكتب بلا فائدة ، فنهى الشيخ لمثل هذا عن مطالعة هذه الكتب واجب ليشتغل بغيرها مما فيه نفعه .

وأما من كان ذا عقل ذكى وفهم على ، وإيمان قوى ، يأخذ من كتبنا كل ما يأخذه وينال منها كل مقصده ، ولقد رأيت فى زماننا هذا

طائفة كثيرة من كل جلس من أجناس العرب والفرس والهند والترك ، وغير ذلك من الأجناس كلهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال ، ونالوا منها مقاصد الآمال فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه وفضله سلوك واجتهاد صار من الكمل ، ومن وقف بعد علمه كان من العارفين .

وسبب ذلك أن المسائل الموضوعة فى كتب أهل الحقيقة إنما تفيدك بالوضع علم التوحيد تصريحاً ، وبالعبارة والإشارة عين التوحيد كناية وتلويحاً ، وبضرب الأمثال حق التوحيد رمزا وتسليحا ، فقد يكون بعض الكتب مسبوكا على هذه الهيئات كلها ، فيدخل بك إلى علم اليقين فإن علمت بمقتضاه ، ولازمت مطالعة ذلك الكتاب على حكم ذلك العلم فإنه ينتقل بك إلى عين اليقين ، ثم يرقيك إلى حق اليقين إن أعطيت نفسك لذلك العين على حكم ماذكره المؤلف ، وإلا فهو مهلك وانتهاك فإذا بلغت إلى حق اليقين انقطعت فائدة الكتب عنك ؛ وهذا منتهى ماتبلغ بك الكتب إليه إن كنت شهماً . وحويت تمييزاً وفهماً .

وأما حقيقة اليقين فلا تستفاد من الكتب بنوع من الأعمال البتة ، لأنه فى الأصل لايدخل تحت الإفادة الكونية بحال فهو أمر وهي فوق المدارك العلمية والعينية والذوقية يمنحه الله من يشاء من أهله ، ولعلك تقول إن كان لابد من الانقطاع بعد فائدة الكتب فى آخر الأمر ، فإذاً أتركها فى أول الامر وارجع إلى ماترجع إليه .

فأقول لك : إن المراتب المشار إليها بعلم اليقين ، وعين اليقين ،

وحق اليقين ، التى ذكرنا عنها أنها منتهى فائدة الكتب لايكاد أن يصل إليها ، بل ولا إلى أقلها باجتهاد العمر كله ، فإنى قد رأيت صبيانا من أهل الطريق من إخوانى بلغوا بمطالعة هذه الكتب فى الأيام القليلة مالم يبلغه رجال باجتهاد أربعين وخمسين سنة على أنهم قد كانوا سببا لدخول اولئك الصبيان إلى الطريق ، ولكنهم لما وقفوا مع سلوكهم وسار أولئك الصبيان فى مطالعة كتب الحقيقة وفهمها ، وتأخروا عن مداهم صار الصبيان شيوخا فى الحقيقة والشيوخ لهم صبيانا حتى أنشد منشد فقال :

وقد تبنيت آبائى على ثقة    ولا محالة أنى وجه كل أب

وهذا البيت لرجل من تلامذة شيخ لم نعلم له شيئا من أعمال الطريق سوى مطالعة كتب الحقيقة حتى بلغ من هذا العلم ماسبق به كثير من السابقين واسمه أبو بكر بن محمد الحكاك له نظم كثير فى علم الحقيقة فمن وقف على ديوان شعره وعرف مقداره حظى بطائل .

وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها فى ديباجة هذا الكتاب حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه لترغب فى تحصيل هذا الفن الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستها ومذاكرتها مع أهلها حيث كانوا فإن الرجل منهم قد يفيدك بكلمة ما لا يفيدك الكتب كلها فى العمر كله ، لأنك تأخذ من الكتاب بفهمك ، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ماهى عليه أعطاك فهمه فيها ، وكم بين فهمك وفهمه . ولقد كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين ،

ومجالسة أهل الله مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها ، فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة فى كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها فإنك تحصل بذلك إلى مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك إن شاء الله تعالى .

واعلم أن معرفة الله تعالى منوطة بمعرفة هذا الوجود فمن لا يعرف الوجود لم يعرف الموجد سبحانه وتعالى وعلى قدر معرفته لهذا الوجود يعرف موجده .

ثم اعلم أن لهذا الوجود أموراً حقية وأموراً خلقية فمنها أمور كلية ، وأمور جزئية سنذكرها ، ومنها أمور صورية وأمور معنوية وتتفرع تلك الأقسام والأنواع حتى تكاد أن تخرج عن الإدراك والإحصاء مطلقاً ، ولكن جميعه محصور تحت أربعين مرتبة من مراتب الوجود وهى أمهات المراتب كلها فإن مراتب الوجود كثيرة لا تحصى لكن هذه الأربعين مرتبة التى نذكرها تشمل الجميع وتحيطها . وبين كل مرتبة من هذه المراتب المذكورة وبين الأخرى مراتب كثيرة لكنها تدخل تحت أحكامها ، ولأجل ذلك اقتصرنا على ذكر الأربعين لأنها أصول وها أنا أذكرها لك فى هذا الكتاب مرتبة فى محلها إن شاء الله تعالى لتعرف الوجود بمعرفة هذه المراتب والله تعالى الموفق للصواب وهو الهادى وعليه التكلان ، وله الاملا ومنه التلقى وإليه الترقى وبه أكتفى وهو حسبى .

المرتبة الأولى : من مراتب الوجود هى الذات الإلهية المعبر عنها

بعض وجوهها بالغيب المطلق وبغيب الغيب لصرافة الذات المقدسة عن سائر النسب والتجليات ولهذا عبر عنها القوم بالذات الإلهية الساذج إذ كلت العبارات دونها وانقطعت الإشارات قبل الوصول إلى سرادق حرمها ، ومن هنا سميت بمنقطع الإشارات بمجهول الغيب .

وكذلك سماها بعض العارفين بالعدم المقدم على الوجود يريد بذلك عدم لحوق النسبة الوجودية بمطلق الصرافة الذاتية التى علت على النسبة وغيرها ، لايريدبأنها عدمه،أى معدومة فوجدت ، بعدذلك فحاشا وكلا بل لكونها حقيقة الوجود البحت التى هى ظلمة الأنوار فيها أى مجهولة من كل الجهات لا سبيل إلى معرفتها بوجه من الوجوه .

ولهذا سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعما . لما قالله السائل أين كان الله ، وفى رواية أين كان ربنا قبلأن يخلق الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عماء مافوقه هواء وماتحته هواء يعنى مافوقه نسبة ولاصفة كما أشرنا لك فيما تقدم .

ولهذا قالت الطائفة أنه المسكوت عنه ومن ثم لا يدخله بعض المحققين فى مراتب الوجود فيقول أنه أمر من وراء الوجود ، ولهذا يجعل بعض المحققين مرتبة العماء من مراتب الربوبيةنظراً إلى سؤال السائل حيث قال أين كان ربنا ؟ فيجعل العما بعض مرتبة الربوبية ، ويجعل الأولى مرتبة الربوبية ، ونحن لا نريد بهذا التجلى ذلك العماء

بل ما أشرنا إليه مع قبول قوله ومن فهم قوله وقولنا قال بالتوافق فى الوجود البحت .

المرتبة الثانية : من مراتب الوجود هى أول التنزلات الذاتية المعبر عنها بالتجلى الاول وبالاحدية وبالوجود المطلق وقد ألفنا لمعرفة الوجود المطلق كتاباً سميناه الوجود المطلق المعرّف بالوجود الحق فمن أراد ذلك فليطالعه هناك ، وهذا التجلى الاحدى هو أيضاً حقيقة صرافة الذات لكنه أنزل من المرتبة الاولى لأن الوجود متعين فيه للذات والتجلى الاحدى العماء الاول يعلو عن مرتبة نسبة الوجود اليها وقد بينا سبب ذلك ووجهه فى كتابنا المسمى بالكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية ، فمن أنكر معرفة ذلك فيطالع هنا ولنقتصر هنا على ذكر نفس المرتبة إذ ليس الغرض من إنشاء هذا الكتاب إلا جمع مراتب الوجود .

واعلم أن هذا التجلى الاحدى هو رابطة بين البطون والظهور ، يعنى يصلح أن يكون أمراً ثالثاً بين البطون والظهور كما نرى فى الخط الموهوم بين الظل والشمس ولهذا يسميه المحققون بالبرزخية الكبرى فالاحدية برزخ بين البطون والظهور وذلك هو عبارة عن حقيقة الحقيقة المحمدية التى هى فلك الولاية المعبر عنها بمقام قوسين أوأدنى وبالعلم المطلق وبالشأن الصرف وبالعشق المجرد عن نسبة العاشق والمعشوق ، وكذلك قولهم فيه العلم المطلق يريدون به من غير نسبة إلى العالم والمعلوم وقولهم فيه الوجود المطلق يريدون به من غير نسبة

قدم ولا إلى حدوث فافهم فذلك عبارة عن أحدية الجمع بإسقاط جميع الاعتبارات والنسب والإضافات وبطون سائر الاسماء والصفات وقد يسميه بعضهم بمرتبة الهوية لأنها غيب الاسماء والصفات فى الشأن الثانى المخصوص بالذات .

المرتبة الثالثة : من مراتب الوجود هو التنزل الثانى المعبر عنها بالواحدية ومنها تنشأ الكثرة بداية وفيها تنعدم الكثرة وتتلاشى نهاية لأنها ذات قابلة للبطون والظهور فيصدق عليها كل واحد من هذين الشيئين وفيها تظهر الاسماء والصفات وجميع المظاهر الإلهية بالشأن الذاتى لابشؤنها فيكون فيها كل واحد عين الثانى كما بيناه فى غير موضع من مؤلفاتنا ولهذا يسمى المحققون هذه المرتبة بالعين الثابتة وبمنشيء السوى وبحضرة الجميع والجود وبحضرة الأسماء والصفات .

المرتبة الرابعة : من مراتب الوجود هى الألوهية وهى عبارة عن الظهور الصرف وذلك هو إعطاء الحقائق حقها من الوجود، ومن هذه الحضرة تتعين الكثرة فليس كل من المظاهر فيها عين الثانى كما هو الواحدية ؛ بل كل شيء فيها متميز عن الآخر تميزا كليا ومن هنا سميت بنشأة الكثرة الوجودية وحضرة التعينات الآلهية وحضرة جمع الجمع ومجلى الأسماء والصفات والحضرة الأكملية ومرتبة المراتب سميت بهذا الاسم لأن المراتب كلها تتعين وتظهر فيها بحكم التميز وهى المعطية لكل من الاسماء والصفات والشؤون والإعتبارات والإضافات حقها على التمام والكمال .

المرتبة الخامسة : من مراتب الوجود هى الرحمانية المعبر عنها بالوجود السارى الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفس الرحمان وهـذه هى الحضرة الرحمانية التى فيها يتم الكثرة الكونية والألهية ، ورحمتها التى وسعت كل شىء فوسعت الكثرة الألهية التى هى الأسماء والصفات وإظهار آثارها ووسعت الكثرة الكونية التى هى المركبات بترجيح وجودها على العدم حتى أوجدت فعمت الجميع بالرحمة ولهذا قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء) ؛

المرتبة السادسة : من مراتب الوجود هى الربوبية وفيها يتعين وجود العبودية ويظهر موقع الجلال والجمال لتأثير الهيبة والأنس وهى الحضرة الكمالية والمنصة العظموتية وهى المجلى الاقدس المحيط بالنظر القدسى والمشهد المقـــدس وإليها ترجع اسماء التنزيه وبها تتخصص التقديس وهى المعبر عنها بحضرة القدس ومن هذه الحضرة أرسلت الرسل وشرعت الشرائع وأنزلت الكتب وتعينت المجازات إما بالنعيم للمطيع وإما بالعذاب للعاصى وهى محتد الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث النبوة والرسالة لامن حيث حقائقهم ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل رب أرنى كيف تحيى الموتى وقال موسى صلى الله عليه وسلم رب أرنى أنظر إليك قال تعالى عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقد رآى من آيات ربه الكبرى فمرجع النبوة والرسالة إلى الربوبية ولها التعالى المطلق .

ولهذا قال تعالى لموسى عليه السلام لن ترانى لانه خاطبه فى تجلى

الربوبية فلو خاطبه فى تجلى الرحمانية أو تجلى الالوهية أو الوحدانية لما كان يقع المنع أبداً لأن الرحمانية لها الوجود السارى وهى عين كل أمرىء والألوهية لها الجمع فهى شىء وعين كل الأشياء والواحدية كذلك لكن لما خاطبه فى تجلى الربوبية بقوله رب إرنى أنظر إليك قيل له لن ترانى لأن الربوبية من شأنها التقديس والتعالى والتنزيه عن لحوق هذه الأشياء بها فطلب العبد من ربه رؤيته سوء أدب منه بالنظر إلى محل العبودية والربوبية لا بالنظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام فانه أكمل الأدباء لكنها حضرت اقتضت أمورهذه الشؤون وجرى بها القدر على حسب الارادة الإلهيه فافهم .

ولهذا لما تجلى سبحانه وتعالى على الجبل بصفة الربوبية تدكدك الجبل وخر موسى صعقاً أى فانيا فلو تجلى عليه بصفة الرحمانية لا أبقاه به ولم يتأثر الجبل فافهم والله تعالى أعلم .

المرتبة السابعة من مراتب الوجود هى المالكية وهى حضرة نفوذ الأمر والنهى لأن الملك حاكم على ملكه لا يستطيع من فى مملكته أن يرد أمره أو نهيه ومن هذا التجلى قوله تعالى للشىء كن فيكون لأن المملوك طوع مالكه والفرق بين أمره الوارد من حضرة الربوبية فيه نوع من التربية ولهذا جاء على أيدى الواسطة التى هى عبارة عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأمكن العبد فيه المخالفة والطاعة بخلاف الأمر الوارد من الحضرة الملكية فانه لا يمكن

فيه المخالفة البتة فلا تقول لشيء كن كذا إلا كان على ذلك الوصف ولهذا كان الأمر بغير واسطة لأن أمره نافذ على كل مأمور ومن هذه الحضرة تأخذ الأسماء والصفات المؤثرة فى الأكوان آثارها فهى السيدة على الأسماء والصفات فأول ماأخذت منها الصفات النفسية حقها .

المرتبة الثامنة من مراتب الوجود هى الاسماء والصفات النفسية وهى على الحقيقة أربعة لايتعين لمخلوق كمال الذات إلا بها وهى الحياة لأن كل ذات لاحياة لها ناقصة عن حد الكمال الذاتى ولهذا هنا ذهب بعض العارفين إلى أن الاسم الاعظم هو اسمه الحى ثم العلم لأن كل حى لاعلم له فإن حياته عرضية غير حقيقة فالعلم من شرط الحى الذاتى لان كمال الحيوة به ولهذا كنى عنه تعالى بالحيوة فقال أومن كان ميتا يعنى جاهلا فاحييناه ، يعنى علمناه وقدمت الحياة على العلم لانه لايتصور وجود عالم لاحياة له فالحياة هى المقدمة الصفات النفسية كلها ولهذا سميت الحيوة عند المحققين أمام الائمة يريدون بالائمة الصفات النفسية كلها لانها أئمة باقى الصفات إذجميعها تدخل تحت حيطة هذه الائمة ثم الإراده لان كل حى لاإرادة له لايتصور منه إيجاد غيره والحق سبحانه وتعالى موجد الاشياء كلها فهو المريد وبالارادة تتخصص الاشياء ويترجح جانب الوجود على جانب العدم فى الممكن .

ثم القدرة لأن كل من أراد شيئا ولم يقدر على فعله فهو عاجز

والحق تعالى يتعالى عن العجز فهو القادر المطلق وهذه الاربعة هى أمهات الاسماء وهو التجلى الثانى وهو مفاتح الغيب وبه يتم تعلقها بكمال الذات فان من كان ذا حياة وعلم وإرادة وقدرة كان كاملا فى وجوده وإيجاده لغيره .

وأما اسمه السميع ثم البصير فمالنا فى إضافتهما إلى الصفات النفسية إلا ورود الكتاب والسنة فيهما ولان العلم فى المخلوق يستفيده بالسمع والبصر زيادة وكماله فى حق المخلوق بوجود السمع والبصر فنسبوهما إلى الصفات النفسية الحقيه لاعلى أن علمه تعالى يجوز فيه الزيادة والنقصان بل على حكم كمال الغائب بما حكم به فى كمال الشاهد .

وأما اسمه المتكلم فهو ماورد به الكتاب من مفهوم قوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فربط الحق تعالى التكوين لقول فتعين أن هذا الاسم والصفة من الصفات النفسية لان به كمال وجود فى نفسه وإيجاده لغيره فصارت جملة الاسماء النفسية سبعة وبعضهم يجعلها ثمانية بالبقاء لان البقاء من جملة كمال الذات الكاملة فى وجودها وإيجادها لغيرها فإنها مالم تكن باقية لايتصور إيجادها لغيرها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

المرتبة التاسعة : من مراتب الوجود هى حضرة الاسماء الجلالية كاسمه الكبير والعزيز والعظيم والجليل والماجد إلى غير ذلك من الاسماء الجلالية وقد ذكرنا جميع الاسماء والصفات فى كتاب ( شمس ظهرت لبدر قرهى ) وهو المجزوء الرابع من أربعين من كتاب

القاموس الأعظم والناموس الأقدم وهو ذا بأيدينا اليوم والمرجو من الله تكميله فلنكتف من ذكر تفصيل الأسماء كانت جمالية أو جلالية أو فعلية .

المرتبة العاشرة : من مراتب الوجود ، وهى حضرة الأسماء الجمالية كاسمه الرحيم والسلام والمؤمن واللطيف إلى غير ذلك من الأسماء الجمالية ويلحق بها الأسماء الإضافية وهى الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد .

المرتبة الحادية عشر : من مراتب الوجود ، هى حضرة الأسماء الفعلية وتنقسم هذه الأسماء إلى قسمين قسم هى الأسماء الفعلية الجلالية كاسمه المميت والضار والمنتقم وأمثالها ، وقسم هى الأسماء الفعلية الجمالية كالمحيي والرزاق والخلاق إلى غير ذلك من الأسماء الفعلية الجمالية فافهم .

المرتبة الثانية عشر : من مراتب الوجود . هى عالم الامكان فإن التجليات الفعلية آخر التنزلات الإلهية الحقية والعقل الأول أول التنزلات الإلهية الخلقية ، فالامكان مرتبة متوسطة بين الحق والخلق لأنه أعنى الامكان لايطلق عليه العدم ولا الوجود لما فيه من قبول الجهتين فاذا تعين ممكن من عالم الإمكان نزل وظهر الى العالم الخلق ، وهكذا ما ليس بمتعين فانه باق على امكانه ، فعالم الامكان برزخ بين الوجودين أعنى وجود القديم ووجود المحدث وسببه أنه لا يصح وقوع اسم العدم على الممكن من كل جهة اللهم إلا بنسبة ما ، فيصح عليه

من مقابلة تلك النسبة اسم الوجود أيضاً فلا وجود ولا عدم فهو مرتبة متوسطة بين الوجود الحقيق والمجازى إذ العدم عند المحققين عبارة عن الخلق والوجود عبارة عن الحق والخلق معدوم والحق موجود والممكن متوسط بين المرتبتين فالموجود المطلق الذى ليس بمفقود ولا معدوم ولا متلاش ولا هالك هو الله تعالى عن أوصاف المحدثات .

واعلم أن حضرة الحق هى حضرة الجمع لأنها جامعة لحضرات الجمع والوجود والكشف والشهود ولهذا قيل إن التحقيق والوصول غير المتوهم والمعقول والدليل والبرهان عين الكشف والعيان والكل فافهم .

المرتبة الثالثة عشر : من مراتب الوجود . هى العقل الأول قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل : الحديث ، والعقل هو القلم الاعلى . قال صلى الله عليه وسلم أول ماخلق الله القلم : الحديث ، والقلم هو الروح المحمدى ، قال صلى الله عليه وسلم أول ماخلق الله نور نبيك ياجابر . فعلم بهذه الاحاديث الثلاثة أن العقل والقلم الاعلى والروح المحمدى عبارة عن شىء واحد قد أودع الله تعالى جميع العلوم فى العقل الاول وإن شئت قلت فى القلم الاعلى وإن شئت قلت فى الروح المحمدى فالعلوم فى العقل الاول مجملة كاجمال الكلام فى الفؤاد وهى مفصلة فى النفس الكلى تفصيل الكلام على اللسان . كما قال الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد ... وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

واعلم أن العقول العشرة أعلاها العقل الاول وأدناها العقل

الفعال وكلها مندرجة موجودة اليوم فى ذات النفس الكلية ولكل من المعقول والنفوس الكلية فيك نسخة كاملة فيزها ترشد إليه إن شاء الله تعالى .

وقد ذكرنا فى كتاب الإنسان الكامل تقسيم العقول الظاهرة فى الإنسان وحصرناها على العقل الاول ، والعقل الكلى ، والعقل المعاشى ، والعقل الضرورى وبينا الفرق بينها بحدودها فلنقتصر هنا على ماذكرنا والله تعالى أعلم .

المرتبة الرابعة عشر : من مراتب الوجود . هى الروح الاعظم وهى النفس الكلية وهى اللوح المحفوظ المعبر عنها بالإمام المبين وبإمام الكتاب فالعلوم الإلهية متبسطة فى النفس ظاهرة فيها ظهور الحروف الرقمية فى الورقة واللوح وهى مندمجة مندرجة فى العقل اندراج الحروف فى الدواة فالعقل هو أم الكتاب بهذا الاعتبار والنفس الكتاب المبين كما أن القلم الاعلى هو أم الكتاب واللوح المحفوظ الكتاب المبين كما أن العلم الإلهى هو أم الكتاب فالوجود بأسره بهذا الاعتبار هو الكتاب المبين كما أن الذات الإلهية من وجه هى أم الكتاب والعلم الإلهى هو الكتاب المبين فتأمل هذه الإشارات وافهم مواقعها منك فيك تفز بسر القدر والله تعالى الهادى .

المرتبة الخامسة عشر : من مراتب الوجود . هى العرش وهو الجسم الكلى فالعرش للعالم بمنزلة هيكل الإنسان للإنسان محيط بجسمانيته وروحانيته وظاهره وباطنه ولهذا سمته الطائفة بالجسم الكلى فكما أن

الروح مستوية أومستولية على البدن من غير تخصيص لها بموضع دون موضع من هيكل الإنسان فكذلك الموجود وجود العرش سار فى الموجودات محيط بجميع العالم مستو على جزئياته وكلياته وذلك هو النفس الرحمانى والاستواء الرحمانى لمن فهم بغير حلول فالوجود بأسره للحق كالصورة الروح وقد بيناه فى كتاب بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم من هذا العلم مافيه غنية عن التكرار .

واعلم أن القلب عرش الله عزوجل والعالم كله عرش الرحمن وبين العرشين ما بين الاسمين .

وقد بيناذلك فى كتابنا الموسوم بالانسان الكامل فمن أراد استقصاء علم ذلك فليطالع هنالك ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

المرتبة السادسة عشر : من مراتب الوجود . هى الكرسى وهو عبارة عن مستوا الفعلية ، وما ورد فى الحديث من أن رجلى الحق متدليتين على الكرسى فأحد رجليه عبارة عن النهى والاخرى عن الامر والكرسى من هيكلك نفسك الناطقة القائمة ببدن جسمك منها تنشأ الاسماء الفعلية لك لأنها تطلب حصول الملائم ودفع غير الملائم وذلك عبارة عن النهى والامر باقتضاء الجزئية وذلك باقتضاء الكلية وجميع ما شرحناه أولا وآخرا فانظر إليك فما أكمل ذاتك تعالى الله الكامل سبحانه .

المرتبة السابعة عشر : من مراتب الوجود . هى عالم الارواح العلوية وهم الملائكة المهيمة فى جلال الله وجماله الحافون بالعرش

وأهل المجالسة والمحاضرة الإلهية وهم المعبر عنهم بعالم الجبروت وعالم المعانى ليسوا من العناصر والطبائع دون سائر الملائكة فإن الباقين مخلوقين من الطبائع وملائكة كل سماء مخلوقون من طبيعة سمائهم وهؤلاء الملائكة هم أشرف خلق الله تعالى وكلهم مقربون قربة خصوصية خلقهم من نور وحدانيته لكن كل واحد من محتد اسم من أسمائه وصفة من صفاته باعتبار التجلى الواحدى وقد ذكرنا أسماءهم وحالاتهم ومحاتدهم ومشاهدهم فى كتابنا المسمى بكتاب الالف وهو الجزء الثانى من تجزية ثلاثين من كتاب حقيقة الحقائق التى هى للحق من وجه ومن وجه للخلائق فمن أراد معرفتهم فليطالع فى الكتاب المذكور .

المرتبة الثامنة عشر : من مراتب الوجود ، هى الطبيعة المجردة عن لباس الاستقصات والاركان التى خلق الله تعالى العالم فيها وهذه الطبيعة للاستقصات كالمداد للحروف الرقمية وكالصوت للحروف اللفظية ونعنى بالاستقصات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بحكم انفراد كل واحد منها عن الآخر وهذه الاستقصات للأركان كالطبيعة للاستقصات فالاستقصات جميعها موجودة فى كل ركن من الاركان لكن النار يغلب فيها استقصان وهما الحرارة واليبوسة والهواء يغلب عليه استقصان وهما البرودة واليبوسة فمتى لبست الطبيعة صورة استقصى من الاستقصات لا يمكن خلعها ومتى لبست الاستقصات صورة ركن من الاركان لا يمكن خلعها ومتى لبست

الاركان صورة من صور الموجودات العنصرية لا يمكن خلعها فيبقى ذلك الموجود موجودا بعد فناء ظاهره فى الطبيعة يشاهدها المكاشف عيانا كما كان يشاهدها الناس فى الحس وهذا الفلك الطبيعى واسع جدا خلق الله تعالى فيه الجنة والنار والمحشر والبرزخ وجميع ما فى الدنيا وما هو قبل خلق الدنيا مما علمنا ومما لانعلمه من المخلوقات الطبيعية وظاهره المحسوس لنا اليوم هو العالم الدنياوى وباطنه الغائب عنا هو العالم الاخراوى وقابلية البطون والظهور هو البرزخ وهو عالم الخيال وعالم المثال وهو عالم السمسمة فنسخة الدنيا منك ظاهرك من االجوارح وغيرها ونسخة البرزخ منك خيالك ونسخة الآخرة منك العالم الروحى وهو باطنك وقد شرحنا أمر كونك نسخة للموجودات فى كتابنا المسمى بقطب العجائب وفلك الغرائب والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

المرتبة التاسعة عشر : من مراتب الوجود ، وهى الهيولى وهى حضرة التشكيل والتصوير تتولد هذه الصور منها كما تتولد الامواج فى البحر فإذا اقتضت الهيولى صورة من صور الوجود كان حتما على الطبيعة إبرازها فى العالم بالقدرة والإرادة الإلهية لأن الله تعالى جعل اقتضاء الهيولى سببا لإيجاد تلك الصورة كما جعل دعاء المضطر سببا لإجابته تعالى فقال تعالى أمن يجيب المضطر فاقتضاء الصورة من الهيولى دعاء لسان الحال لوجود ما اضطرت إلى وجوده وهى الصورة التى تعينت فى الهيولى وتقدير الحق على الطبيعة بإيجاد تلك

الصورة هى الإجابة الإلهية فالهيولى بالنسبة إلى الصورة والاشكال كالماء للأشجار يتغير بحسب كل شجرة وثمرتها قال الله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فالماء أصل لجميع النباتات فى ذواتها غير متميزة بعض عن بعضها بالفضل والطعم والقدر والقدرة والثمر والحسن والقبح إلى غير ذلك من الامور التى تتميز بها الاشياء بالفضل بزيادة الحل والقيمة والنفع والطهارة واللطف فكما أن النباتات صور للماء كذلك الصور كلها صور حقيقة الهيولى وتمامها بتمام الصور وليس للصور آخر فليس لها نهاية فهى تحت الطبيعة لان اقتضاها إنما هو بحكم الطبيعة فافهم .

المرتبة العشرون : من مراتب الوجود هى الهباء وهو مكان حكمى لا وجودى أوجد الله العالم فيه وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أول من سمى هذا المكان الحكمى بالهباء فإن قلت بين لنا كيف يتصور وجود هذا الهباء الذى هو مكان العالم . قلت لك : أو ليس الله قد خلق العالم والعالم بأجمعه اسم لما سواه فإن كان أوجده الله فى نفسه كانت نفسه محلا للحوادث تعالى عن ذلك وإن كان أوجده فى فى مكان مخلوق كان ذلك المكان من جملة العالم فما بقى إلا أن نقول أوجده فى مكان حكمى غير وجودى حتى يخرج ذلك المكان عن حد العالم ويخرج عن أن يكون ذات الحق تعالى فافهم هذا وجه إثبات هذا الفلك الهبائى بطريق رأى العقلاء والنظر وأما عندنا فهو سبحانه أوجد العالم من علمه إلى عينه وعلمه عينه وعينه ذاته والمراد من قولى أوجد

العالم من علمه إلى عينه هو عبارة عن اضافة الحق تعالى نسبة الوجود إلى عينه لأن الموجودات بأسرها لم تزل موجودة له فى علمه وعلمه على الحقيقة عينه وعينه علمه لأنه بذاته يعلم وبذاته يسمع وبذاته يبصر ولو قلت يسمع بسمع ويبصر ببصر ويعلم بعلم.

قلنا إن ذلك العلم والسمع والبصر عين ذاته لاغيرها فوجود العالم فى الظاهر الكونى إيجاده لهم فى بصره وهو عبارة عن إضافته تعالى نسبة وجودهم إلى بصره وهم قبل ذلك وبعده موجودون فى علمه غير مفارقين للعلم حال إضافة نسبتهم إلى عينه وغير مفارقين لعينه حال إضافة نسبة وجودهم إلى علمه لأن عينه قراء علمه فلا يغيب عن شىء لكن إضافة نسبة الحق لهم إلى عينه أكسبهم الإيجاد العينى فلو رفع عنهم هذه الإضافة لعدم العالم بأجمعه فالعالم محفوظ بنظر الله تعالى إليه وقد بينا ذلك بأوضح من هذا البيان فى كتابنا القاموس الأعظم والناموس الأقدم فلنختصر على هذا القدر فى هذا الكتاب.

المرتبة الحادية والعشرون من مراتب الوجود هى الجوهر الفرد لأنه أصل الأجسام فهو للأجسام بمنزلة الحروف للكلمة وإن شئت قلت بمنزلة النقطة للحرف وقد بينا ذلك فى كتاب النقطة فالجوهر ذات قابلة للاتصال غير قابلة للافتراق ولهذا كان الجوهر نهاية أمر الأجسام فى الافتراق والهلاك فهلاك المركب انبساطه وتحليل أجزائه حتى يصير كل جوهر منه مفرداً والجوهر قبل التركيب يسمى الجوهر الفرد وبعد التركيب يسمى الجوهر المركب وبعد انحلال التركيب

وهو انبساطه يسمى الجوهر البسيط والجزى الذى لا يتجزى إذ لا يصح ذكر الجزء بغير اعتبار الكل وبعد الانحلال فالكل معتبر وهو المركب الذى قد انحل فإذا علمت الجوهر فاعلم أن العرض عبارة عن أحواله وأوصافه وشئونه وأحكامه إلى غير ذلك من أوصافه كلها فهى له أعراض متغايرة عليه مع الدوام إذ بقاء العرض زمانين محال وسبب ذلك أن العرض سمى عرضاً لانتقاله من محل قابل للاعراض إلى محل آخر والجوهر محل فرد لا يقبل انتقال العرض فيه بل لايزال طارئا متنقلا عنه غير مجاور له هكذا على الدوام وسيأتى بيان استثناء هذه المسألة فى المرتبة التى بعد هذه المرتبة عند ذكرنا تجديد خلق الخلق فى كل آن والله تعالى أعلم .

المرتبة الثانية والعشرون من مراتب الوجود هى المركبات والمركبات تنقسم إلى ستة أقسام : مركبات علمية ومركبات عينية ومركبات سمعية ومركبات جسمانية ومركبات روحانية ومركبات نورانية فأما المركبات العلمية فهى عبارة عن صور المعلومات فى العلم فإن كل صورة من صور المركبات مركبة فى العلم من صور وأجزاء وجواهرها حسبما هو موجود فى الخارج وجميع مايوجد فى عالم الخيال هو من هذا القبيل على مافيه من الانساع ولهذا كان الخيال برزخا بين الروح والجسد لأن صورة الخيال أجزاء كلها مأخوذة من عالم الحس وتركيبه وتصويره عالم الروح فصار ممزوج الحكم مثال ذلك إذا صورت شجرة من زمردة خضراء لها ثمار من الياقوت الأحمر أحلى من العسل وألذ

من النكاح وتكون هذه الشجرة بقدر العالم مرات كثيرة طولا وعرضا وعمقا فأجزاء هذه الشجرة هى الزمردية والخضرة والحمرة والياقوتية والحلاوة والعسلية واللذة النكاحية والعالم الذى قست به هذه الشجرة والطول والعرض فكل هذه الأجزاء حقائق أمور موجودة فى عالم الأجسام تعقلتها وركبت بعضها مع بعض فى عالم خيالك وهـــذا التركيب ليس فى قوة عالم الأجسام بل هو لعالم الأرواح فظهرت لك تلك الشجرة فى عالم خيالك بواسطة عالم الأجسام وعالم الأرواح فليس هو ملحق بإحدهما فلو كان من عالم الأجسام وحده لرأتها الخلق ولما كان يمكن أن تكون لأنك قلت بقدر العالم بمرات كثيرة ولو كانت من عالم الأرواح وحده لبقيت ببقاء الأرواح لكنها التحقت بالفناء بحكم الجسم عليها وتصورت لك ذلك التصوير بحكم الروح فيها فإن الروح واسعة وهذا الذى ذكرناه لك هو سر ممتزج الأرواح بالأجسام لأنها تكتسب بواسطة الجسم كالات لا يمكنها أن تكتسبها إلا به ألا ترى إلى من ولد أعمى لا تعرف روحه كيفية الألوان ولا حسن الخلقة المكتسبة بالبصر فتذهب روحه وقد فاتها من الكمال هذا النوع من العلم بصنع الله تعالى وبقدر ما يجهل من من صنعته بجهله ، وكذلك من خلق أصم لا يعرف أخبار الأنبياء وما وردت به الشرائع فيموت وقد فاته هذا النوع من صنع الله تعالى وبقدر ما يجهل من مصنوعاته يجهله الكمال وقد اكتسبت الكمالات بما لها من الجوارح والحواس غير السمع فإذا فهمت سر الامتزاج

بين الروح والجسد فاعلم أن الخيال هو مثل عالم البرزخ الذى تكون فيه الأرواح بعد مفارقتها الأجسام إلى يوم القيامة لأنها لا فى دار الدنيا ولا فى دار الآخرة وقد علمت بما ذكرنا المركبات العلمية. وأما المركبات العينية فكالاعراض التى هى تتواتر وتتوارد على الجوهر وتشهد الاعيـــان لتلك الاعراض بقاء ووجوداً إذ ذلك البقاء هو مركب من أعراض كثيرة متواترة على الجوهر بالحقيقة فالجوهر أيضا مخلوق فى كل نفس بحكم ذلك العرض خلقا جديدا فتتبدل الاجزاء بتبديل الكل ولهذا قالت الطائفة المحققون أن العالم مخلوق مع الأنفاس جديداً ويؤيد ذلك قوله تعالى ( بل هم فى لبس من خلق جديد) ألا ترى البخار المجتمع تحت الأرض كيف إذا لم يجد منفذاً يتغير فيصير ماء رجراجا ثم إذا صار فيه استعداد وقابليه من الأرض صار زيبقا فتبدلت ذاته فصارت محدودة بحدود ليست من حدود البخار ولا من حدود الماء بل كل من البخار والماء والزيبق محدود بحد آخر ولكل حقيقة متميزة عن حقيقة الآخر وهذا التغيير الذى وقع لو كان فى زمان واحد لشوهد عياناً كما يقع فى ماء الزاج والعفص إذا اختلطا فصارا حبرا والحبر حقيقة متميزة عن حقيقتى الزاج والعفص ولكن هذا التغير شيئا فشيئا بحيث أن لا تدركه الحواس ولهذا التبس أمره على الخلق فصاروا فى لبس من خلق جديد ، وهذه المركبات العينية تتركب بوجود أجزاء مجتمعة فى البصر فيشاهد الناظر شيئا واحدا لقوة المثلية فى الاجزاء والاعراض المختلفة المتواترة التى باختلافها تختلف ذات الجوهر عينه ، وقد استقصينا الكلام فى هذا المعنى فى كتابنا

الموسوم ( بحقيقة الحقائق التى هى للحق من وجه ، ومن وجه للخلق) فلنقتصر من ذكر ذلك على هذا القدر فى هذا الباب ، والله الموفق لارب غيره .

وأما المركبات السمعية : فالكلمة تتركب من حروف كثيرة يسمعها الشخص شيئا واحداً والنغم كذلك والالحان المسموعة من الأوتار مركبة من صوت الحرير والخشب والحديد والنحاس أو الجلد والشعر إلى غير ذلك من أنواع آلات الطرب وغيره حتى أن ضرب الكف على الكف مركب من صوت وقع كل واحد منهما على الآخر ، فافهم .

وأما المركبات الجثمانية : فعلى ثلاثة أنواع وأعلاها هو الخط ، وهو ماله البعد الأول وهو الطول لا غير وهو يتركب من جوهرين فصاعدا فإذا انضم جوهر إلى جوهر وتركبا حصل الطول لا غير وأوسطها هو الخط وهو ماله بعدان مجتمعان وهو الطول والعرض وهو يتركب من أربعة جواهر فصاعدا فيحصل من تركيب اثنين البعد الطولى . ومن تركيب اثنين البعد العرضى فيسمى سطحا وأسفل المركبات هو الجسم وهو ثلاثة أبعاد الطول والعرض والسمك بالنظر إلى فوق والعمق بالنظر إلى تحت وهو متركب من ثمانية جواهر فصاعدا وأول موجود فى عالم التركيب الجثمانى الفلك الأطلس وآخره الإنسان .

وأما المركبات الروحانية فأجزاؤها مركبة من العالم الروحى ،

وكل جزء منها أمر حكمى باعتبار ونظر ولها جزء باعتبار ونظر يعرفها من شاهد ذلك العالم وعرف صورها وهذا أمر ليس أعجب منه وفى ذلك العالم ماهو أعجب من هذا ولو أذن لى لبينت لك كيفية ذلك بألطف عبارة وأحسن إشارة فى هذا المكان ولكنى مأمور بوصفه فى كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم فإذا قدر الله لى بفعل ما أمرنى به رأيته فى محله من ذلك الكتاب إن شاء الله تعالى .

وأما المركبات النورانية : فهى الاجرام الفلكية المعبر عنها بالكواكب متركبة الأجزاء من العناصر الأربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وكل كوكب منها حقيقة واحدة غير قابلة للتقسيم فى نفس الأمر على ما شاهده الحس منها من الكبر والعظمة حتى أن الفلاسفة مجتمعين على أن الشمس بمقدار الدنيا مائة مرة ونيفاً وستين مرة .

وقد أيد الشيخ محى الدين بن العربى هذا وذكره فى كتاب الفصوص وقال فيه ماشابه هذه المقالة وهذا أمر عجيب وهو أن يوجد موجود بهذا العظم لا يقبل التقسيم فى نفس الأمر وإدراك هذا على العقل بعيد ، ويلحق بهذه الاجرام الفلكية الانوار الارضية المركبة من وجود النار والهواء الممازج لها فى أفقها بواسطة الدهن أوالشمع أوالحطب أوماجرى مجراها فافهم .

المرتبة الثالثة والعشرون : من مراتب الوجود هى الفلك الأطلس

وهى فلك وجودى عينى يدور تحت الكرسى وفوق بقية الأفلاك التى يأتى ذكرها فى مراتبها بعده وقولنا وجودى تنبيهاً على أن الأفلاك المذكورة قبله كالهبا والطبيعة وأمثالها كلها حكميات لاعينيات وهذا الفلك إنما سمى أطلساً لأنه لا نجم فيه ولا كوكب فيه فليست له علامة يعرف بها مدة دورانه وقطعه الدايرة ، وقد شاهــدت فى موضع من هذا الفلك فلكا صغيرا يدور سبعين ألف مرة فى مدة طبق الجفن وفتحه فسألت عن هذا الفلك الصغير فقيل لى هو فلك الآن يعنى أن كل دورة من دورانه تسمى آنا وهذا الفلك الأطلس هو المحرك لجميع الأفلاك الدائرة بحركته ، وحركته منبعثة من الطبيعة على نسق واحد ومشيئة واحدة ولهذا دام بقاء العالم مدة طويلة بإرادة الله تعالى ولولم يرد بقاء العالم هذه المدة الطويلة لما جعل حركة الفلك الأطلس المحرك للأفلاك منوطة بانبعاث الطبيعة وهى لاتزال تنبعث إلى أن يشاء زوال العالم فتسلب الطبيعة الانبعاث فيقف الفلك الأطلس ، ويقف بوقوفه باقى الأفلاك فتتناثر الكواكب وتقوم الساعة بأمره ولو تكلمنا على كيفية ذلك احتجنا إلى طويل كثير ليس هذا المختصر محله .

المرتبة الرابعة والعشرون : من مراتب الوجود . فلك الجوزاء هو كوكب حكمى لا وجود له بعينه بل هو عبارة عن بعدين معلومين يكونان بين الشمس والقمر فيسمى أحد البعدين رأساً والآخر ذنباً فنى أحدهما تكون الأرض مبسوطة بين جرم القمر وبين جرم الشمس

فيمتنع القمر من قبول نور الشمس فيكون خضوعه لأن نوره من نور الشمس ، وفى البعد الثانى يكون القمر مبسوطا بين الارض وبين الشمس فيمنع الشمس أن يقع ظلها على الأرض كما يمنعها السحاب فيكون كسوفها ولو أردنا بيان كيفية ذلك لأشغلنا عليك الوقت بكثير من علم الحساب وهو فلسفة محضة فاليكف هذا القدر من ذكر هذا المعنى وهذا الكوكب الحكمى إنما جعلوه فوق مرتبـــة فلك الأفلاك لأن الأمور الحكمية أعلا مرتبة فى الوجود من الأمور الموجودة الحسية وان لا لكان موضع ترتيبها تحت فلك المكوكب لأنه فلك البروج ولولاه لم تكن حكمية والله عز وجل أعلم .

المرتبة الخامسة والعشرون : من مراتب الوجود ، هى فلك الأفلاك وهو الفلك المسمى بالفلك المكوكب ومنطقة البروج فيه جميع الكواكب الثابتة والسيارة ماخلا السبعة الكواكب التى هى فى السبع سموات وإلا فجميع الأنجم والكواكب فى هذا الفلك ، ولهذا سمى منطقة البروج وفلك الافلاك والفلك المكوكب واعلم أن وجود النجوم فى أفلاكها كوجود الحوت فى الماء لكل نجم فى فلكه فلك صغير يدور فيه النجم وله قطب من جنسه يحفظه فى الفلك المكوكب كما يحفظ القلب الدولاب وقد بينا كيفية السموات والافلاك فى كتابنا الإنسان الكامل والله تعالى أعلم .

المرتبة السادسة والعشرون : من مراتب الوجود هى سماء زحل وهو السماء السابع ، وجوهر هذه السماء اسود كالليل المظلم خلقها الله

تعالى مقابلا للعقل من الإنسان وهى سما سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم مسافة دوره مسيرة أربعة وعشرين ألف سنة وخمسمائة عام .

المرتبة السابعة والعشرون من مراتب الوجود هى سماء المشترى جوهر هذه السماء أزرق اللون خلقها الله تعالى مقابلا للهمة من من الإنسان وهى سما سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم مسيرة دورها مسافة اثنان وعشرون ألف سنة وستة وستين سنة وثمانية أشهر والله أعلم .

المرتبة الثامنة والعشرون : من مراتب الوجود هى سماء بهرام وهى المريخ خلقها الله تعالى مقابلا للوهم من الإنسان لونها أحمر كالدم وهى سما سيدنا يحي صلى الله عليه وسلم مسيرة دورها مسافة تسعة عشر ألف سنة وثلاث ماية وثلاثة وثلاثون سنة وماية وعشرون يوما .

المرتبة التاسعة والعشرون من مراتب الوجود وهى سما الشمس لونها أصفر كالذهب وهى قلب الأفلاك خلق الله تعالى هذه السماء مقابلا للقلب من الإنسان وهى سما سيدنا إدريس صلى الله عليه وسلم مسافة دورها سبعة عشر ألف سنة وخمسمائة عام والله أعلم .

المرتبة الثلاثون من مراتب الوجود وهى سما الزهرة جوهر هذه السماء أخضر اللون خلقها الله تعالى مقابلا للقوة الخيالية من الإنسان وهى سما سيدنا يوسف عليه السلام مسيرة دورها خمسة عشر ألف سنة وستة وثلاثين سنة وماية وعشرين يوما .

المرتبة الحادية والثلاثون من مراتب الوجود هى لسماء عطارد جوهر هذه السماء أشهب اللون خلقها الله تعالى للحقيقة الفكرية من الإنسان وهى سماء نوح عليه السلام مسيرة دورها مسافة ثلاثة عشر ألف سنة وثلاثمائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما .

المرتبة الثانية والثلاثون من مراتب الوجود هى لسماء القمر جوهرها شفاف أبيض كالفضة خلقها الله تعالى مقابلا للروح من الهيكل الإنسانى وهى سماء آدم عليه السلام مسافة دوره إحدى عشر ألف سنة وقد ذكرنا فى الباب الثانى والستين من الإنسان الكامل عجائب وغرائب مما أودع الله فى السموات السبع فلنكتف بهذا القدر من ذكر السموات فى هذا المحل والله أعلم .

المرتبة الثالثة والثلاثون من مراتب الوجود وهى للفلك الأثير وهى المسماة بالكرة النارية أول ماتنبعث الحركة الفعلية فى عالم الكون والفساد من هذه الكرة بحسب ما يقتضيه العقل الفعال وهو العقل العاشر وكان هـــذا الفلك مؤثرا فى العالم الأرضى لأنه حاو لأقوى الاستقصات الأربع إذ طبعه الحرارة واليبوسة والتأثير لهما فى الباقيات لأن الحرارة أقوى من البرودة واليبوسة أشد من الرطوبة فجمع هذا الفلك هذين القسمين القويين من أقسام العناصر فصار مؤثرا

المرتبة الرابعة والثلاثون من مراتب الوجود هى للفلك المأثور وهى المسماة بالكرة الهوائية وطبعه الحرارة والرطوبة فبواسطة الرطوبة تتأثر من الفلك الأثير وبواسطة الحرارة تؤثر فيما تحته

وتسخة هذه الكرة من الهيكل الإنسانى الدم كما أن نسخة الفلك الذى فوقه منه الصفرا كما أن نسخة الفلك المائى الذى تحته منه البلغم كما أن نسخة الكرة الترابية منه السودا .

المرتبة الخامسة والثلاثون من مراتب الوجود هى للفلك المستأثر وهو المسمى بالكرة المائية طبعه البرودة والرطوبة اعلم أن الله تعالى إنما جاور بين كل فلك من هذه الأفلاك وبين ما يليه إلا لنسبة بينهما جاور بين الكرة المائية والكرة الهوائية للرطوبة السارية فيهما وجاور بين الكرة الترابية والكرة المائية للبرودة السارية فيهما وبهذه النسبة يقع تأثير كل منهما فى الآخر ولا سبيل إلى أن يؤثر شىء فى شىء إلا بوجود نسبة بينهما كما أنه لا سبيل لأن يجتمع شىء بشىء إلا لنسبة وهذه النسبة إما ذاتية وإما وصفية وإما فعلية وكل واحد من هذه الثلاثة إما لازمة وإما عارضة .

حكى أنه حكى عن بعض الحكماء أنه خرج يوماً من بيته فأقبل إليه رجل من المجانين يقبل كفه فقال فى نفسه ذلك لولا أن بينى وبينه نسبة لما جاء إلى وقبل كفى فتأمل فى مزاج نفسه فرأى الغلبة فيه للطبيعة السوداوية فقال من هاهنا كان نسيبا لى فمكث مدة يعالج نفسه حتى اندفع عنه ذلك الطبع السوداوى .

ويحكى عن بعض العلماء أنه رأى حمامة وغراباً مجتمعين فى مكان واحد فتعجب لذلك لعدم النسبة له بينهما فلما أمعن النظر فيهما رأى فى

كل منهما عرجا فى رجله فقال من هذه النسبة حصل الاجتماع وتحت هذا علم كبير يلزم أن يتنبه له .

المرتبة السادسة والثلاثون من مراتب الوجود هى الفلك المتأثر وهو المسمى بالكرة الترابية ومحط ظهور التأثيرات الكونية فكلما حصل فى الأفلاك التى فوقها تأثير او تأثر ظهر فى هذه الكرة حكم ذلك التأثير والتأثر على نمط معلوم عند أهله ولولا الخشية من التطويل والدخول إلى شىء من معلوم الفلسفة لشرحنا جميع ذلك وذكرنا أمهات المتأثرات وبينا كيفية تأثير الشىء الواحد بتأثير من تأثر بعين ذلك الأثر وكيف يكون الشىء الواحد علة لوجود نفسه وهذا بخلاف مايقتضيه العقل لأنه يستحيل فى حكم العقل أن يكون الشىء علة لوجود نفسه إذ لابد من تغاير العلة والمعلول وأما عندنا فهذا لايلزم بل تارة يكون الشىء معلولا لعلة هو غيرها وتارة يكون معلولا لعلة هو عينها وهذا أمر ذوقى يكشفه الله تعالى لمن يشاء من خلقه .

المرتبة السابعة والثلاثون من مراتب الوجود هى المعدن وهو على أنواع كثيرة وكلها تختلف من الأبخرة والدخاخن الصاعدة من الأرض فى جوفها إلى خارج وقد بينا ذلك فى كتاب الألف وهو جزء من ثلاثين جزءا لحقيقة الحقائق فمن أراد ذلك فليطالع هنالك وبالله التوفيق .

المرتبة الثامنة والثلاثون هى النبات وهو الجسم النامى وهو أنزل من المعدن بمرتبة وهو النمو لأن المعدن هو الجسم المركب من الجواهر

البسيطة ولهذا ذهب جمهور الحكماء إلى أن فى النبات روحا ومن ثم امتنعت طائفة البراهمة عن قطع الأشجار حتى أن الواحد لو احتاج إلى شوكة لم يقتلعها لأن مذهبهم يقتضى أن لا يؤذوا الحيوانات ولا يأكلوها فهم لا يأكلون حيوانا ولا يقتلونه ولو أذاهم ولا يأكلون مايؤول إلى الحيوان كالبيض ثم امتنعوا من قطع الأشجار لما فيها من النمو زعما أن لها روحا وأن النمو إنما هو بواسطة الروح وقد رأيت فى بلادهم شجرة إذا قربت إليها لتمسكها تنقبض أوراقها أو تنكمش كأنها ذات روح على أنه عند المحققين مافى الوجود شيء من المحسوسات إلا وهو ذو روح سواء كان معدنا أو نباتاً أو حيوانا أو غير ذلك لأن الله تعالى يقول وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولا يصح التسبيح إلا لمن له روح فكل شيء له هذه الروح التى هى مشهودة للمكاشف ومخاطبة له وتسبيحها على أنواع بانت عجيبة من وجوه كثيرة فسبحان من يسبحه كل شيء بكل لسان واعلم أن النباتات برزخ بين المعدنية والحيوانية لأن المعدن جامد على حال واحد والحيوان متحرك بالإرادة والنباتات برزخ بينهما لأنه يتحرك بالاختيار فهو جماد بنظر وغير جماد بنظر فافهم .

المرتبة التاسعة والثلاثون من مراتب الوجود وهى الحيوان وحدّه العقلاء بأنه الجسم النامى المتحرك بالإرادة وهو عندنا عبارة عن الروح الممتزجة بالجسم لاغير فلو مزق الجسم وتلاشى وظهرت روحه فى عالم بحسب تلك الصورة التى كانت الروح ممتزجة بجسدانيتها متمينا

ذلك الروح حيوانا على حسب ما هى عليه تلك الصورة اما فرس وإما إنسان وإما غير ذلك من أنواع الحيوانات واعلم أن الحياة على خمسة أنواع النوع الأول حياة وجودية وهى سائرة فى جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فكل موجود من أنواع الموجودات له من هذه الحياة الوجودية حياة وهى عين وجوده وذلك ما تسميه الطائفة بالوجود السارى فى الموجودات النوع الثانى حياة روحية وهى الحياة الملكية لسائر الموجودات فى العالم الروحانى بالاصالة ولهذا كانوا باقين ببقاء الله تعالى لهم لأن الروح من حيث هى روح حياة محض وهو مناف للمات والهلاك وما ورد من زوال الملائكة بالصعق يوم الفنا الأكبر إنما هو بوجه واعتبار لا من كل الوجوه فافهم وهذه الحياة الروحية للحيوانات منها نصيب فهى لهم بحكم التبعية فليس لهم عقل معاشى ولهذا زالت عنهم الحياة الدنيا وبقيت لهم الحياة الآخروية وبقا كل من الحيوانات فى الدار الآخرة بحسب حياته فمن كانت له حياة كاملة كالإنسان والجان بقا فى الدار الآخرة ببقائها موجوداً عياناً تاماً كاملا ومن كانت حياته ناقصة كان موجوداً فيها حكما لا غيبا النوع الثالث حياة بهيمية وهذه الحياة هى الحرارة والرطوبة الغريزتان الكامنتان فى الدم الجارى فى تجاويف الكبد وهو المعبر عنه من نفس الحيوانية ولا يدخل عليك الغلط فيما تراه من عدم وجود الدم فى بعض الحيوان فإن له مادة تقوم مقام الدم حرارة ورطوبة وكذلك بعض الحيوان ليس له كبد وله عضو رئيسى يقوم مقام الكبد فيصرف الغذا فى جسمه كما يتصرف الكبد فى الأجسام الحيوانية .

النوع الرابع حياة عارضة وهى الكملات الحاصلة بحسب الأمر الوارد عليه كالعلم فإنه حياة للجهل وكالربيع فإنه حياة للأرض وكوقوع نور الشمس على جرم القمر فإنه حياة له وكإشراق ضوء الشمس على وجه الأرض فإن ذلك حياة لها وهذا الأمر كثير جدا لا يمكن حصره .

النوع الخامس حياة الهيئة الأصلية اللازمة التى هى من كل الوجوه وبكل الاعتبارات فى غاية مايكون من الكمال فهذه أنواع الحياة فمن الموجودات ما فيه نوع واحد ومنها ما فيه نوعان وثلاثة وأربعة واما جمعها بالإحاطة الخمسة أنواع فإنه لايكون إلا للإنسان الكامل فقط فهو حامل لجميع أنواع الحياة ولا يجوز أن يكون ذلك لغيره فالإنسان الكامل له مرتبة الجمع دون ماسواه وهذا أوان الكلام فيه والله تعالى أعلم :

المرتبة الأربعون من مراتب الوجود هى الإنسان وبه تمت المراتب وكمل العالم وظهر الحق تعالى لظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته فالإنسان أنزل الموجودات مرتبة وأعلاهم مرتبة فى الكمالات فليس لغيره ذلك وقد بيناه أنه الجامع للحقائق الحقية والحقائق الخلقية جملة وتفصيلا حكما ووجوداً بالذات والصفات لزوما وعرضا حقيقة ومجازا وكلما رأيته أو سمعته فى الخارج فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان أو اسم لحقيقة من حقائقه فالإنسان هو الحق وهو الذات وهو الصفات وهو العرش وهو الكرسى وهو اللوح

وهو القلم وهو الملك وهو الجن وهو السموات وكواكبها وهو الأرضون وما فيها وهو العالم الدنياوى وهو العالم الأخراوى وهو الوجود وما حواه وهو الحق وهو الخلق وهو القديم وهو الحادث فلله در من عرف نفسه معرفتى إياها لأنه عرف ربه معرفته لنفسه وليكن هذا آخر الكتاب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين آمين

---

( تعليق على المرتبة الأربعين )

• مكانة الصوفية من سلفنا الصالح ممتازة فى قلوب العقلاء ، ونفوس أهل الصفاء ذوى الإيمان واليقين .

• لذوى القلم من أولئك الصوفية عبارات دقيقة لا تخرج عن الكتاب والسنة ، وإن بدا للنظر المجرد ، أو للقارىء فى أول وهلة أنها بعيدة عنهما ، هذه العبارات الدقيقة عند محادثتهم تتجلى واضحة ، وينوب اليوم عن محادثتهم مطالعة الكثير من كتبهم المرة بعد المرة ، مع حسن الظن بهم واعتقاد فضلهم ، واستنزال بركاتهم ، أما من سار سيرهم ، وتمتع باستنشاق أسرار الحق فى مثل خلواتهم ، وعاش راضيا بسننهم فإنه لا يصعب عليه قولهم ، ويجد له لذة تتمتع بها روحه ، على أن منهم من تصدى لحل رموز أقوالهم ، وشرح المقامات التى تنقلوا فيها للسير إلى رضى ربهم ، مثل الإمام الشعرانى ، والعلامة سلطان العارفين العز بن عبد السلام ، والإمام النابلسى ، والعلامة المقدسى ، فمراجعة ما كتب هؤلاء وأمثالهم يعين على فهم كلام القوم جدا ، ولا يفوتنا

هنا أن نشير إلى أنهم لا يعتقدون أن الخلق هو عين الخالق فتلك قضية لاتخفى على ذى عقل ، وإنما هم يريدون أن الخلق وهو أثر الخالق دليل على الصفات التى تليق به جل وعلا ، ولا محالة أن الإنسان وهو ذو الوجود الواضح بين الخليقة أجلى مظهر تجلى فيه مظاهر الصفات الإلهية كالقدرة والإرادة والإبداع ، فإذا ما قالوا إن الإنسان قديم فلا يريدون ذلك الوصف الذى لايليق إلا بالله تعالى ، وإنما الكلام على حذف مضاف ، أى هو أثر القديم أو دليله .

• ولا يليق بمن فطروا على الحق وتحلو بكريم الخُلق مع الخلق ألا يكونوا كذلك مع الحق تبارك وتعالى ، وهنا يحسن أن نذكر معنى كلمات الإمام الجيلى فى المرتبة الأربعين من مراتب الوجود ليزول اللبس ، فلا ينبذها إلا من كان قليل الإدراك فهو معذور ، أو مكابر فى الحق فهو مفتون .

• الغاية والمعنى لهذه الكلمات أن الإنسان قائم بحياة حقيقتها وعين ذاتها هى منه تعالى . إمداداً وإشراقاً من غير حلول قديم فى حادث بمنزلة ماء الجدول من البحر فهو ماء جدول باعتباره وماء بحر باعتبار أنه منه ومتصل به ، ولله المثل الأعلى ( ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ) ويرشدنا فى هذه المسألة ، قوله تعالى ( فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ) فالسجود راجع إلى الله تعالى فى باطن الأمر وإن وقع لآدم فى ظاهره ، وليس الحكم بالظواهر فى نظر المحجوبين عن معرفة الله من طريق الباطن وإن شئت تقريب ذلك بوجه ما وتمثيله ولله المثل الأعلى فانظر إلى نفسك العاقلة المجردة

البسيطة ( فمن عرف نفسه فقد عرف ربه ) فإنك تجد فيها من الصفات مالا يحصى من الحب والبغض والارادة والكراهة والعلم والفطانة والجود والشجاعة إلى غير ذلك من الملكات النفسانية وبكلها تُوصف، وبجميعها تُعرف، وهى على بساطتها وتجردها ما انثلمت بتلك الكثرة وحدتها، ولا تركبت من تلك المتغايرات المختلفات حقيقتها . بل وحدتُها محفوظة، مع كون تلك الكثرة منها منتزعة وفيها ملحوظة ؛ وهذا شبح من المثال ضربناه لتقريب الأمر عليك وكسر سورة الاستبعاد من ضيق المجال، وإلا فيجل ذو العظمة والجلال، عن أن تحكى عنه الأشباه أو تضرب له الأمثال. . . . أما باقى كلمات الإمام من أن الإنسان هو كل مافى الموجودات وأنه الأنموذج لكل ماتفرق فى العالمين المشهود والمغيب، فإليك عنه البيان .

• السادة الصوفية يرون سبيل الإنسانية إلى مثلها العليا وعرة متشعبة المسالك تكثر فيها منعطفات مضللة، وصخور عائقة، هى من وحى الحضارات الدخيلة، على المسلمين، تلك الحضارات التى تدعوهم بأخذ نصيب ضخم من الرفاهية المقرونة بافتتان العقل، وافتتان الشهوات فحاولوا اجتذاب المتأمل الجاد المستوعب فى القوة المهيمنة على القلوب والعقول، وهى المحبة التى هى أساس الأديان جميعها فحدثوه عنها كثيراً لكى تستيقظ فيه غرائز العطف والمحبة الكمينة والمعطلة فى قالبه، ولكنها لاتزول مطلقا، وأعلموه أنه الصورة الكاملة، والأنموذج التام لما تفرق فى الأرض والسموات وإنه العالم الصغير، لذلك العالم الكبير، وأنه جزء فى وحدة، هو المقصود منها، وأن شئون

الإتصال بالعوالم العلوية والسفلية بادية فى كون الإنسان فالضياء عنه الأنموذج .. ضياء البصر ، والريح المصرف فى الفضاء .. النفس ، والليل المطلسم عنه غلغال الفكر . . وصندوق الصدر . ، والشمس عنها العقل ، والقمر عنه مادة الخيال ، والنجوم السيارة عنها سوانح الخواطر ، والمطر الدمع ، والاخضلال الجامد .. الريق ، والأفلاك.. أوتاد اللطائف أعنى لطيفة القلب ولطيفة النفس ولطيفة الخفاء ولطيفة السر ولطيفة الأخفى . . هذا ما كان من نظريات العالم العلوى ، وما كان من نظريات العالم السفلى . فكروية الأرض أنموذجها الرأس ، والجبال أنموذجها الثديان والضرة والركبتان . والنبات أنموذجه الشعر ، ومركبات ذرات الأرض أنموذجها مادة الجسد ، فكافة مركبات ، والمياه النابعة أنموذجها المخضلات التى ترشح عن البدن على اختلاف مواقعها وأنواعها ، والأشجار وأغصانها أنموذجها الوجود وأجزاؤه من يد ورجل وأنامل . أما الاتصال المحض الجامع بين العالمين فأنموذجه فى الوجود هو كل لطيف وكثيف ، وآنه طلسم الليل حين يولج فى النهار ويسدل ستر ظلامه على الذرات حيث يتصل بذات الوجود المفرد الآدمى ، والنهار حين يولج فى الليل وينتشر ضياؤه على الحادثات ، فكذلك يتصل بوجود الآدمى اتصالا محيطا ، وكما اتصل هذا ، وهذا به فقد اتصلا بكل ذرة كما بيناه ، والهواء كذلك وهو مستمر الاتصال فإذا دقق النظر اللبيب ، رأى هذا الاتصال العام الثابت حسا ، يُلزم بصحيح الاتصال معنى ، ومتى صح هذا المعنى انقطعت غوائل القطيعة ، وصح الود وثبت الحب ، وهنالك ترى العارف يريد

النفع المطلق لكل ذرة بارزة أو مغيبة وها أنت ترى أن هؤلاء الأجداد الأجلاء تركوا رسالتهم فى هداية القلوب وتأليف شتاتها فى ألفاظ تشيع فيها الأنوار والظلال والحركات والسكنات والآمال وكل ما كان يكتنفهم فى أثناء حياتهم ، وهم يكافحون من أجل هداية النفوس ، هذه الرسالة مهمة شاقة لا يقوم بأدائها إلا أفراد قلائل ممن أوتوا الالهام وهبط عليهم وحى خاص وهذا هو السبب فى أنك ما قرأت كتب التصوف إلا وجدت بها حديثاً خالداً ، حديثاً ترويه القرون ، وكأن لكل لفظة فيه (مخزن الكنوز) أو (قارورة العجائب) وفى هذه الكتب نقلا كثيراً عن النصوص ، وتصوير لذات الأرواح فى معارج الفهم عن الله ولم تكن لتخطىء هذه الكتب الحقيقية . حقيقة الدين فى نصه ونصوصه ، كما لم يُدخل أصحاب هذه الكتب غريباً على الحقائق والمبادىء الاسلامية ، ولم يخترعوا ، غير أنهم فنانون ملهمون عباقرة ، وأن أعمالهم الانشائية بما فيها من تحليل الاخلاق وتصوير لعمق الاخاديد فى النفس البشرية ومن تصوير لما يجب أن تكون عليه الحياة طبق ماجاء به القرآن وللذة لم هو كائن بعد هذه الحياة ، كان له أكبر الاثر فى تطهير النفوس والسمو بها إلى مستوى أعلى .

وإلى هذا الحد الذى وصلناه من الفهم عن كتب التصوف يجب علينا أن نتخذ مسلكاً نشيطاً تجاه المواضيع التى سندرسها من أقوال الصوفية ، وأن نستعمل المعرفة الجديدة التى تنشأ من أقوالهم ، والتى لم يكن فيها جديداً إلا طريقة تعبيرهم عن المعروف المتداول

بين المسلمين جميعاً بأسلوب علماء الرسوم وذلك بأن نثير أسئلة عن النقط التي يتكلمون عنها في كتبهم ، وننظر ما هي الخطوات التي ستلي ذلك ، وما هو اليقين الذي سيثبت عندنا ثم نراجعها على الحقيقة من كتاب الله ، فنفكر ونتحدث ونكتب عن هذه التعابير وندعها تلعب دورها في نشاطنا التعبدي ، فإن وصلت بنا إلى الغاية التي يبتغيها الشارع. كانت ولا بأس بها .

على أن نفكر في المعاني الضمنية والتوابع للأفكار والاساليب الجديدة التي حصلنا عليها من دراسة التصوف ، ومن المؤكد أن جانباً كبيراً من الاوامر الإلهية ستظهر لنا واضحة جلية رغم وضوحها الاصيل ، وتستقر في ضمائرنا مع رغبتنا الشديدة المتلهفة على تنفيذها ، مما يجعلنا نشعر بمتعة خفية وافتتان عجيب ثم يتدرج هذا النوع من الفهم والعمل إلى جانب من التركيز في حياتنا مع ما يواتينا من قوة التغلب على المكدرات دون ما حاجة إلى مجهود أو قوة وإرادة ، والحق هو أنه كلما كبرت نسبة دراستنا لهذه الاقوال المشرقة في الحب لله والتسليم له بالملكية لأفعالنا وأقوالنا لما يزداد به نفع الانسان لنفسه وبني جلدته بل وللإنسانية في جميع مشارق الارض ومغاربها ، إذ أنه مع مرور الزمن ان نكتسب الشوق الحقيقي لما نقوم به من عبادات ومجاهدات فقط ، وإنما نكتسب أيضا الشعور والإحساس بأننا جزء من كل ، هي وحدة المجموعة الكونية التي تستمد أصل وجودها من معين الحياة المنبثقة من تجليات الحق بالايجاد كلما حاولنا أن نجعل ذلك جانباً نشيطاً من تفكيرنا الدائم وهذا هو الذي حاولته الصوفية وأثبتته في كتبها.

# الفهرس



﴿ تم الفهرس ﴾